الدبيبة وحفتر والدعاية الانتخابية المبكرة

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

زيارات ميدانية، ولقاءات شعبية، ومجاملات اجتماعية، وإطلالات إعلامية بوعود وردية، ومبادرات شبابية ورياضية وثقافية، ومحاولات لبث الروح الإيجابية، باتت تميز تحركات عدد من كبار المسؤولين في ليبيا، بما يعني أن حملة دعائية للاستحقاقات الانتخابية بدأت قبل الموعد.

هناك شعور عام لدى أغلب الليبيين أن المهندس عبدالحميد الدبيبة رئيس حكومة الوحدة الوطنية بات يتمدد بقوة، وينفذ برنامجه الخاص به لا البرنامج المتفق عليه في ملتقى الحوار السياسي أو المطروح على البرلمان لنيل ثقته في مارس الماضي، وهو يمتلك الأدوات لتحقيق أهدافه، لديه حلفاء على الأرض وجناح مؤثر في ملتقى الحوار، ودعم كامل من تركيا الحاضرة بقواتها وسلاحها في غرب البلاد، وشبكة فاعلين أساسيين في مراكز القرار وصلت إلى اختراق المجلس الرئاسي والسيطرة على توجهاته، ومستشارون يسعون بقوة إلى توجيه بوصلة السنوات القادمة لفائدته، حتى أغاني التمجيد لشخصه بدأت في الظهور سواء من إنتاج وزارة الثقافة والتنمية المعرفية أو من إنتاج القنوات التلفزيونية المرتبطة بمنظومتي الأسرة واللوبيات.

علينا أن نعلم أن وليد اللافي أحد المتخصصين في صناعة الصورة والمدير السابق لقناة "النبأ" لعبدالحكيم بالحاج، وشبكة "سلام" لرجل الأعمال علي الدبيبة، هو اليوم وزير الدولة للاتصال والشؤون السياسية والمحرّك الفعلي لدوائر الإعلام والعلاقات الاجتماعية من حول رئيس الحكومة.

يسعى الدبيبة لإقناع قوى إقليمية ودولية بضرورة التمديد لحكومته، وقد طرح ذلك في لقاءات رسمية مع شخصيات عدة من بينها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون والرئيس الروسي فلاديمير بوتين. وتبدو لندن أكثر العواصم يقينا بأن الانتخابات في ليبيا ستتأخر عن موعدها المقرر. كذلك بات الإيطاليون شبه متأكدين من الأمر. أما الأميركان فيتجهون إلى الدفع نحو الاكتفاء بتنظيم انتخابات برلمانية في الرابع والعشرين من ديسمبر وتأجيل الرئاسيات إلى وقت آخر قد يكون سبتمبر 2022، وبعض التسريبات تقول إنهم أبلغوا حلفاءهم الأوروبيين بذلك.

الدبيبة وفريقه يعملون على الاستمرار في الحكم لسنوات قادمة، وهذا الأمر لم يعد خافيا، فهناك مساع فعلية للتحكم في مسارات الأحداث وآلياتها كالدبلوماسية والإعلام والأموال الطائلة المرصودة، لا أحد يستطيع أن يتنكر لهذا الواقع، والكثير من الأطراف الليبية تراهن على استمرار الوضع على ما هو عليه، وتعتبره أفضل بكثير من أي مغامرة لتنظيم انتخابات قد تعيد تقسيم البلاد بشكل يمكن أن يكون عنيفا أكثر مما سبق.

الدبيبة يريد الترويج لصورته وكأنه دخل فعلا مرحلة الدعاية الانتخابية، وبحكم الاتفاق السياسي فهو لا يستطيع الترشح ولكن لا أحد يمنعه من أن يستعمل نفوذه في الدفع بقائمات مستقلة إلى الانتخابات البرلمانية

الإخوان والدائرون في فلكهم يعتبرون أن لا نجاح للانتخابات من دون دستور، ولا قبول بنتائج لا تكون في صالحهم، ولا موافقة على أن يترشح من يضعونهم في خانة الأعداء للاستحقاق، وهم يمتلكون الآليات لإعادة البلاد إلى مربع العنف: ميليشيات وجماعات مسلحة وجحافل مرتزقة وتحالف ميداني معلن مع تركيا. إلى جانب تأثير واضح في الشأن السياسي من خلال التغلغل في مفاصل الدولة وامتلاكهم إمكانيات إعلامية مؤثرة في الداخل والخارج، وقدرة على المناورة والخداع والتلاعب بالمفردات وفبركة المعطيات.

عمليا بإمكان الإخوان إشعال الحرب ثم التظاهر بأنهم ضحاياها، ولديهم المال الوافر الذي يخصصونه للتعاقد مع شركات العلاقات العامة لكسب الرأي العام الغربي ولاسيما الأميركي. في العام 2014 انقلبوا على نتائج الانتخابات التي لم تكن في صالحهم ودفعوا نحو حرب أهلية مدمرة استفادوا منها لاحقا عندما تمت إعادة تدويرهم في مؤتمر الصخيرات ليعودوا إلى صدارة الحكم من بوابة مجلس الدولة الذي لا يزال إلى اليوم عقبة في وجه الحل السياسي بالبلاد.

الجيش والبرلمان ومناصروهما يعتبرون أن لا نجاح لانتخابات تنتظم في ظل فوضى الميليشيات في غرب البلاد، وتحت راية من يطلقون عليه اسم المحتل التركي، وهم يعتقدون أن قوة السلاح ستؤثر على نوايا الترشح أولا، ولاسيما في مدن يهيمن عليها الرأي الواحد، ثم على إرادة الناخبين، وقد تفرض تزويرا على نتائج الصندوق، وليس من المستبعد أن تدفع للحرب من جديد تماهيا مع منظومة "فجر ليبيا" في صيف 2014 والتي كان هدفها الأول الانقلاب على نتائج الانتخابات.

في ذات الإطار، الإخوان وحلفاؤهم يناورون علنا من أجل تأجيل الانتخابات، ويعلنون ذلك أمام بعثة الأمم المتحدة، ويرفضون التوصل إلى القاعدة الدستورية المرتجاة، ومنهم من هدد بالحرب وبتقسيم البلاد في حال فاز المحسوبون على الجيش أو على النظام السابق، وهم يطرحون تأجيل الرئاسيات على الأقل إلى حين فرض دستور يعتقدون أنه سيضمن لهم موقعا في سدة الحكم، ويمنع أي رئيس قادم من التحكم في مصيرهم حتى لو كان خليفة حفتر أو سيف الإسلام القذافي شخصيا.

وعلى طرف النقيض، يصرّ البرلمان وقيادة الجيش والقوى الوطنية وأنصار النظام السابق على تنظيم الانتخابات في موعدها، رغم أنهم يدركون أن الأمر بات في غاية الصعوبة. هم يهدفون بذلك إلى توريط الأمم المتحدة والمتداخلين الإقليميين والدوليين، ويحاولون إثبات حقيقة طالما عملوا على إقناع العالم بها، وهي أن لا الإسلام السياسي بمختلف تفرعاته ولا الميليشيات ولا أصحاب النفوذ الإقليمي في طرابلس يرغبون في تحقيق أهداف خارطة الطريق ومنها تنظيم الاستحقاق الانتخابي. وقد التحق بهم طرف آخر هو في الأصل خليط من كل هؤلاء يتصدره رئيس الحكومة الدبيبة الطامح إلى الاستمرار في منصبه لسنوات أخرى.

المشكلة الحقيقية في ليبيا أن هناك ثروة تثير الأطماع داخليا وخارجيا، وهناك مال سائب يعلّم السرقة حتى لمن يدّعون أنهم عنوان النزاهة ونظافة اليد، وهناك مظاهر بذخ وترف غير مسبوقة ولاسيما في غرب البلاد تأتي نتيجة لاتساع ظاهرة الفساد ونهب المال العام وسيطرة السلاح على دوائر القرار المالي والاقتصادي، وهناك طبقة واسعة من المتنفذين مرتبطة بالفاعلين الأصليين في طرفي النزاع تهيمن على الأسواق وتجارة العملة والاعتمادات المصرفية، وهناك توافقات ضمنية على تقاسم الثروة والسلطة خلال المرحلة القادمة على أن يبقى كل طرف في موقعه. لا أحد يريد الديمقراطية في ليبيا، وحتى المجتمع الدولي بات يراجع مواقفه بعد واقعة الخامس عشر من أغسطس في أفغانستان.

يدرك الدبيبة أن وجود القوات التركية ومرتزقتها في غرب البلاد يمنع الجيش المسيطر على الشرق والجنوب من دخول مغامرة جديدة نحو طرابلس، ويدرك حفتر أن سيطرة قواته على منابع الثروة تمنحه ورقة الاستمرار كرقم صعب في المعادلة العسكرية والسياسية، ويتفق الروس والأتراك على ذلك، ويلعب كلّ منهما أوراقه لإبقاء الوضع على ما هو عليه. لا مشكلة في تنظيم انتخابات برلمانية سواء في الرابع والعشرين من ديسمبر 2021 أو الرابع والعشرين من يناير 2022، ولكن من الأفضل أن تبقى التوازنات على ما هي عليه إلى حين حدوث شيء ما.

يريد الدبيبة اليوم الترويج لصورته بقوة وكأنه دخل فعلا مرحلة الدعاية الانتخابية، وبحكم الاتفاق السياسي فهو لا يستطيع الترشح، ولكن لا أحد يمنعه من أن يستعمل نفوذه السياسي والإداري والجهوي والقبلي والمالي في الدفع بقائمات مستقلة إلى الانتخابات البرلمانية قد تحقق نتائج مهمة في غياب الأحزاب الفاعلة وفي ظل الرفض الاجتماعي الواضح للإخوان وتابعيهم.

وفي شرق البلاد، يتجه الجنرال خليفة حفتر لتكريس زعامته السياسية إلى جانب قيادته العسكرية، واليوم لديه أنصار يرون فيه رمزا لوحدة قبائل برقة، وينظرون إليه كرجل قادر على تحصين الثروة ومواجهة أطماع القوى الداخلية والخارجية فيها.

لا عودة إلى الحرب بين شرق وغرب ليبيا، ولكن الحرب قد تكون في غرب ليبيا بين الميليشيات المتنافسة، وقد يتم الدفع إليها لتأجيل الانتخابات فعليا بدعوى غياب الاستقرار الأمني، ولأمر آخر هو أن يحسم المجتمع الدولي موقفه من الجماعات المسلحة ويتدخل للجمها نهائيا وجمع السلاح المنفلت. بعض المؤشرات تقول إن هناك رهانا على توحيد المؤسسة العسكرية في ربيع 2022، وأن حفتر لا يمانع في دمج ميليشيات رئيسية في الجيش والمؤسسات الأمنية. أمراء الحرب المسيّسون وآخرهم صلاح بادي باتوا يهيئون المجال لذلك.

لن يسحب مجلس النواب ثقته من حكومة الدبيبة، والمؤتمر الدولي القادم سيجمع كل الأطراف على طاولة واحدة. سيتم الاتفاق على استمرار المرحلة الانتقالية بعض الوقت، وستتكرس الزعامات الحالية ولاسيما الدبيبة في الغرب وحفتر في الشرق، وهما قد دشنا بالفعل حملة علاقات عامة في الأوساط الاجتماعية والثقافية وحتى الرياضية. وعندما تأتي اللحظة المناسبة سيسعيان إلى تقاسم الحكم وفق المحاصصة الإقليمية سواء من خلال الانتخابات أو من خارجها. أما الشعب فعليه أن يتحمل وينتظر ما ستؤول إليه الأحداث.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

ليست دولا فاشلة بل دول ميتة

فاروق يوسف
كاتب عراقي

ستكون هناك دولة إسلامية ثانية بعد الجمهورية الإسلامية في إيران. سبقتنا أفغانستان. هناك دول عربية كانت مرشحة لكي تلتحق بإيران. مصر والعراق واليمن وليبيا وتونس. حتى تونس التي انتصرت الفوضى فيها على حركة النهضة وهي ربان السفينة كما شاءت الإرادة الشعبية المزورة لا في مراكز الاقتراع بل في العقول.

يفكر ذوو الرؤية الاستراتيجية من المتحمسين لقيام الجمهوريات أو الإمارات الإسلامية في أن فشل استمرار الدولة الإسلامية في العراق والشام لم يجهض حلم الرجوع إلى المنطلقات النظرية لجماعة الإخوان المسلمين وليس الاكتفاء بـ"داعش" الذي يضرب ويهرب نهاية لذلك الحلم الذي يمكن استخراجه من السلوك اليومي للمواطنين الذين لا يرغبون في إغضاب رعاة الدين في ظل غياب برنامج ثقافي واضح لتفسير العلاقة بين المواطنة الحقيقية وبين التقدم الاجتماعي.

لا يزال المواطن العربي ضعيف الحيلة أمام التنظيمات والجماعات والأحزاب الدينية. ذلك لأنه ليس هناك نموذج مدني متوازن يدفع به إلى الشعور بالاطمئنان ليقف بصلابة أمام عمليات الابتزاز التي تُمارس تحت مظلة التهديد بغضب الله والجحيم والخروج عن خط الإسلام وسواها من العبارات والمفردات التي يمكن تفكيكها بيسر لو كانت هناك ثقة متبادلة بين المواطن ومنظمات حقوق الإنسان التي تضطلع بمسؤولية تنويرية أكثر من أن تكون إجرائية.

وبالرغم من أن هناك ظروفا تتباين بين بلد وآخر حالت دون قيام إمارة إسلامية هنا أو هناك في العالم العربي، فإن الجماعات والأحزاب الدينية لا تزال تأمل في أن تتبدل تلك الظروف ويعود الربيع سيدا لكل فصول السنة العربية. لم تفقد جماعة الإخوان وفروعها الأمل في أن تستعيد ما فقدته. ما حدث في مصر من تحولات اقتصادية ومدنية وسياسية كبيرة. ما تشهده تونس من تحول جذري

لا يزال المواطن العربي ضعيف الحيلة أمام الأحزاب الدينية ذلك لأنه ليس هناك نموذج مدني يدفع به إلى الشعور بالاطمئنان ليقف بصلابة أمام عمليات الابتزاز التي تُمارس تحت مظلة التهديد بغضب الله

في صيغة الحكم. ما شهدته ليبيا من انتقال إلى مرحلة حكم مدني محكوم برقابة دولية. ما صدر في السودان من قوانين تجرم خلط الدين بالسياسة. كل ذلك لم يشكل ضربة قاضية لفكرة الإمارة الإسلامية التي حورها الحوثيون في اليمن وموالو إيران في العراق ولبنان ليكونوا من خلالها جنودا في طاعة الولي الفقيه.

ذلك هو مصدر السرور الذي غمر أحزابا وتنظيمات كثيرة يعتقد البعض أنها لا تتفق مع حركة طالبان. حزب الله على سبيل المثال. هل هي الشماتة بالولايات المتحدة؟ ولكن حزب الله سيفعل الأسوأ إذا ما تمكن بشكل نهائي من لبنان. سيلحقه فعليا بإيران ويبقيه هيكلا فارغا من المحتوى ومجرد دولة على الورق. هل سيكون هناك يمن إذا بسط الحوثيون نفوذهم على كل الأراضي اليمنية؟ إذا أردنا معرفة ما الذي يمكن أن تثمر عنه العلاقة بإيران علينا العودة إلى واقع ما انتهت إليه الكارثة العراقية.

العراق حتى بالنسبة إلى زعمائه السياسيين الحاليين هو مجرد كذبة. غير أنها كذبة يمكن للمؤسسات المالية الدولية وحدها أن تتعامل معها بثقة. فالعراق بلد نفطي. هناك حكومة في العراق مهمتها الاقتراض. سيكون المستقبل قاسيا. وهو ما مطلوب من لبنان. غير أن حزب الله يخشى أن تكون هناك خديعة فرنسية. ذلك ما يدفعه إلى إرجاء كل شيء. ما ينتظره الجميع قرار أميركي يحسم كل شيء مثلما حدث في أفغانستان.

ستكون إيران على درجة كبيرة من الانزعاج لو أن جارتها إمارة أفغانستان ظلت وحيدة في إنجازها التاريخي ولم تلتحق بها دول كاليمن والعراق وتونس. أليست الفوضى ممكنة في السودان والجزائر وليبيا؟ لا تزال تركيا على الخط بالرغم من أن هناك إشارات كثيرة تؤكد أن حكومة أردوغان تسعى إلى تحسين علاقتها بالعالم العربي. تلك العلاقة التي ساءت بعد إسقاط حكم الإخوان في مصر. في تركيا نظام سياسي لا يمكن أن يكون مصدر ثقة. ولكن هناك سؤال حائر "لمَ لا يتبنى مناصرو الجماعات الإسلامية فكرة الدولة الدينية في بلادهم وفي المقدمة يقف أردوغان؟".

ذلك سؤال ينقلنا إلى ما بعده. هناك رغبة قديمة في تحطيم العالم العربي. اتفاقية سايكس بيكو لم تعد نافعة. لقد صنعت تلك الاتفاقية دولا. المطلوب اليوم أن تزول تلك الدول. وليس هناك من قوة سوى الإسلام السياسي قادرة على إزالة تلك الدول وتحويلها إلى كيانات تابعة.

حين قررت الولايات المتحدة الانسحاب من أفغانستان كانت تعرف أنها لن تكون سوى دولة ميتة. وهذا ما سيكون عليه مصير أي دولة يتمكن منها حملة الإسلام السياسي.